وَمَـا الـدَّهْـرُ أَهْـلٌ أنْ تُـؤَمَّـلَ عِـنْـدَهُ
حَـيَـاةٌ، وَأَنْ يُـشْـتَـاقَ فِـيـهِ إِلَـى الـنَّـسْـلِ[١]

يا من يريد حياته لرجاله

وقال يمدح سيف الدولة:

[الكامل]

لَا ٱلْـحُـلْـمُ جَـادَ بِـهِ وَلَا بِـمِـثَـالِـهِ
لَـوْلَا ٱدِّكَـارُ وَدَاعِـهِ وَزِيَـالِـهِ[٢]
إِنَّ الـمُـعِـيـدَ لَـنَـا الـمَـنَـامُ خَـيَـالَـهُ
كَـانَـتْ إِعَـادَتُـهُ خَـيَـالَ خَـيَـالِـهِ[٣]

= سائر واحد ينتهي بفاجعة الموت؛ فالموت طريقة من طرق القتل التي تُودي بأبناء البشرية إلى حتوفهم، لذا فلا سبيل للبقاء في هذا الوجود، ومن حقّ الإنسان أن يترك أثراً يُذكر به، وهذا شأن العظماء منهم الذين تركوا للبشرية ما يُذكّرها بهم.

ـ ورد بعد هذا البيت أبيات ثلاثة لم ترد في الديوان، وهي التالية:

هَـلِ الـوَلَـدُ الـمَـحْـبُـوبُ إِلَّا تَـعِـلَّـةٌ ... وَهَلْ خَلْوَةُ الحسناءِ إِلّا أذَى البَعْلِ؟
وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاء البنينَ عَلَى الصِّبَا، ... فَلَا تَحْسَبَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ
وَمَا تَسَعُ الأَزْمانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا، ... وَلَا تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي

(١) يُخاطب الشاعر ممدوحه بخلاصة تجربته أن على المرء ألّا يركن إلى الحياة، فالدهر خوّان لا يُمكن اتّخاذه صديقاً وفيًّا، إنه لا يعين المرء على تحقيق ما يصبو إليه بل على العكس يحول دون ذلك إمعاناً في كيده، كما أن المرء عليه ألّا يحزن لموت أولاده، لأنهم قد يكونون بعده فتفجعهم الحياة بأنفسهم إن لم تفجع آباءهم بهم.

(٢) يبدأ الشاعر قصيدته المدحيَّة بمطلع غزلي. الحلم: النوم. المثال: الصورة. المزايلة: المفارقة. يتحدّث الشاعر عن صدود وهجر حبيبته، إنه ممتنع، فلا يزوره في ليل نجواه وقد غرق الكون في سُبات عميق، والشاعر يغفو علّه يرى طيف الحبيب، فالبخل حجب عنه حتى الخيال، فحتى صورته في وهم مخيّلته تكاد تكون مبهمة، ولولا التّذكّر لامحت الصورة تماماً من ذاكرته، فساعة الوداع لا تزال تُراود خياله، ومفارقته لا زالت ذكراه في الخيال.

(٣) أخيراً أفلح الشاعر أن يستحضر صورة محبوبته، ولكنها صورة منسوخة لا عن الأصل، بل إنها منسوخة عن مخيّلة باهتة الألوان ممسوخة الصورة ليوم الوداع إنها =

بِـتْـنَـا يُـنَـاوِلُـنَـا الْـمُـدَامَ بِـكَـفِّـهِ
مَـنْ لَـيْـسَ يَـخْـطُـرُ أَنْ نَـرَاهُ بِـبَـالِـهِ[١]
نَـجْـنِـي الْـكَـوَاكِـبَ مِـنْ قَـلَائِـدِ جِـيـدِهِ
وَنَـنَـالُ عَـيْـنَ الـشَّـمْـسِ مِـنْ خَـلْـخَـالِـهِ[٢]
بِـنْـتُـمْ عَـنِ الْـعَـيْـنِ الْـقَـرِيـحَـةِ فِـيـكُـمُ،
وَسَـكَـنْـتُـمُ طَـيَّ الْـفُـؤَادِ الْـوَالِـهِ[٣]
فَـدَنَـوْتُـمُ وَدُنُـوُّكُـمْ مِـنْ عِـنْـدِهِ،
وَسَـمَـحْـتُـمُ، وَسَـمَـاحُـكُـمْ مِـنْ مَـالِـهِ[٤]
إِنِّـي لَأُبْـغِـضُ طَـيْـفَ مَـنْ أَحْـبَـبْـتُـهُ
إِذْ كَـانَ يَـهْـجُـرُنَـا زَمَـانَ وِصَـالِـهِ[٥]

= صورة الصورة. يستشف من ذلك أن الشاعر لا تزال بقيَّة حبّ في أركان قلبه لمن أحبّ، ولذا فإنه يسعى دائماً لاستحضار صورة حبيبته.

(١) فإذا ما حضرت الصورة راح يُحرّكها كما يحلو له، إنها تسقيه خمرة معتّقة بيدها، ولو كان الأمر حقيقة لما تنازلت وفعلت ما رآه في منامه، إنها بعيدة، فحتى لو كانت قريبة فلن تقوم بعمل كهذا، وإن تصوّر أن ذلك قابل التحقيق.

(٢) جنى: قطف. يصف الشاعر ما تصوّره يقوم به، إنها تتزين بالحليّ، فقد زين جيدها عقد ثمين، تتلألأ حبّات اللؤلؤ ممَّا جعله يجتني منها قُبلات تطبع أنوارها على شفتيه، ولا يكتفي بذلك بل إنه يتناول ضياءً مشعاً كأنه ينبعث من خلخالها الذي ينشر ضياءه في المكان فيبدو كعين الشمس إشراقاً ودفئاً.

(٣) بان: رحل. القريحة: المجرّحة لكثرة بكائها. الواله: العاشق الولهان من شدّة الحب، فلا يعرف ماذا يفعل، يُخاطب الشاعر حبيبته على بعدها، فقد رحلت وأبقت عينيه باكيتين دامعتين، فآلمهما ذلك فتقرّحتا، ورغم بعدها، فقد احتلّت قلباً والهاً كان فارغاً من الهموم والأحزان، فإذا بها تجد ركناً هادئاً فتحتلّه رخيّة البال مطمئنة.

(٤) دنا: قرب. استحضر القلب حبيبته، وهذا يُسعد الشاعر، والأمر لم يكن منوطاً بإرادة الحبيبة، بل كان ذلك بإرادة التذكّر من الشاعر، وقد سمحت بما حصل، ولكن الأمر لم يتعلق بالمحبوبة؛ إنه الشاعر الذي استحصل على السماح بإرادته، لذا فلا مِنّة منها ولا جود؛ دون شكّ إنها بخيلة.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٩. الطيف: الخيال. يُعلن الشاعر =

مِـثْـلُ الـصَّـبَـابَـةِ وَالْـكَـآبَـةِ والأسَـى
فَـارَقْـتُـهُ فَـحَـدَثْـنَ مِـنْ تَـرْحَـالِـهِ[١]
وَقَـدِ ٱسْـتَـقَـدْتُ مِـنَ الـهَـوَى وَأَذَقْـتُـهُ
مِـنْ عِـفَّـتِـي مَـا ذُقْـتُ مِـنْ بَـلْـبَـالِـهِ[٢]
وَلَـقَـدْ ذَخَـرْتُ لِـكُـلِّ أَرْضٍ سَـاعَـةً
تَـسْـتَـجْـفِـلُ الـضِّـرْغَـامَ عَـنْ أَشْـبَـالِـهِ[٣]
تَـلْـقَـى الْـوُجُـوهُ بِـهَـا الْـوُجُـوهَ وَبَـيْـنَـهَـا
ضَـرْبٌ يَـجُـولُ الـمَـوْتُ فـي أَجْـوَالـهِ[٤]
وَلَـقَـدْ خَـبَـأْتُ مِـنَ الْـكَـلَامِ سُـلَافَـهُ
وَسَـقَـيْـتُ مَـنْ نَـادَمْـتُ مِـنْ جِـرْيَـالـهِ[٥]

= عن كرهه طيف حبيبته، والطيف في العادة يزور المحبّ في حال بعد الحبيب عن محبه، لأن الصورة والحقيقة لا يجتمعان، فإذا ذهب أحدهما حلّ الآخر بديلاً، ولما كان الطيف دائم الحضور، كان الأصل دائم الهجر والبعد، والشاعر يتمنّى لقاء الحبيب، فإن كان الطيف فهو أفضل من لا شيء في نظر الشاعر.

(١) الصبابة: شدّة الشوق ورقته. الكآبة: الحزن والأسى. يذكر الشاعر أنه فارق محبوبته وحلّ محلها في نفسه ميل وحبّ شديد ورقيق، يرافقه كآبة وحزن وأسىً، وتركت له خيالاً لا حياة فيه ولا رواء.

(٢) استقدت: اقتصصت وثأرت. البلبال: انشغال البال بالهموم والأحزان. يذكر الشاعر الطريقة التي ساعدته على الخلاص من ربقة هذا الحبّ من جانب واحد، فلما حضر الطيف كان جزاؤه انتقاماً حريراً لطيفاً ولكنه ينمّ عن عفّة صاحبه وترفّعه عن الوقوع في الفاحشة، وبخاصة أنه ذاق منه الأمرين، فقد شغل باله زمناً أرّقته فيه الهموم وملأت قلبه الأحزان.

(٣) تستجفل: تدعوه ليسرع في الهرب. الضرغام: من أسماء الأسد. أشبال الأسد: صغاره. يُعلن الشاعر عمَّا عزم عليه ليتخلص من طيف حبيبته، لقد خصّص لكلّ مكان يودّ غزوه ساعة من الزمن، يجعل فيها الأسد القوي الشجاع يفرّ من أمامه تاركاً أشباله، لا يهتمّ إلّا بنفسه مؤثراً السلامة بينما أشباله يُواجهون بطش الشاعر وجبروته.

(٤) الأجوال، الواحد جول: النواحي: حيث يلتقي الأبطال بالأبطال ويتطاحنون ويحول الموت بينهم في تخطف الأرواح، ويشمل العراك مختلف نواحي ميدان المعركة.

(٥) السلافة: أجود أنواع الخمر. الجريال: الأحمر من الخمرة وهو دون السلافة. يُنوّه =

وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ
بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ(١)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ
مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ(٢)
يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الْمَطِيُّ وَرَاءَهُ،
وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلَالِهِ(٣)
وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ
فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ(٤)

= الشاعر بأنه أبقى خير شعره وهو بمنزلة السلافة من الخمرة إلى سيف الدولة، وما كان قبل ذلك فهو بمثابة الجريال من الخمرة وهو دون السلافة جودة وروعة، فقد وزّعه بين ممدوحيه السابقين.

(١) الجياد: الخيول الكريمة. برزت: سبقت. ينوّه الشاعر بما يُميّزه عن سواه من الشعراء. فإذا بالكبار منهم المجيدين بما سهل جميل اللفظ تفوّق عليهم بما يصعب عليهم واعتلى جبالاً عالية لا يستطيعون تسلّقها، فأتى بالصعب الممتنع.

(٢) العراء من الأراضي: الخالية الواسعة. الناعج: الأبيض الكريم من الإبل. المجتاب: المتجوّل في الأرض. المغتال: المهلك. ينوّه الشاعر بقدرته على تحمل مشاق الأسفار، إنه يستعين بناعج يجول عليها مجاهل الأرض المهلكة حيث يضيع من لا يعرف أنحاءها، ولكثرة تجواله أصبح على معرفة واسعة في الصحراء يخترقها ويتنقل من مكان إلى آخر بسهولة عجيبة.

(٣) عدت: ركضت. المطيّ: الإبل. الجمام: الراحة، الكلال: الإعياء، التعب الشديد. يُشيد الشاعر بناعجه الذي يُرافقه في ترحاله؛ إنه يسبق سائر النياق وهو ماشٍ وهي تركض، فإذا بها خلفه، وإن أراد أن يسبقها وهي مستريحة وهو في حال تعبه فاقها وسبقها، هذا في حال إرهاقه، فلو كان مستريحاً لاختلف الأمر، فإذا به في المقدّمة دائماً، ممّا يدلّ على حسن اختيار الشاعر ومعرفته بأنواع حيوان الصحراء المفضّل.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. تراع: يُداخلها فزع. معقلات: مربوطات بإحكام بالعقال أي الحبل. المتجفّل: المسرع. يُردف الشاعر حديثه عن ناعجه، إنه يسبق دائماً سائر الجمال التي نفرت لسبب ما وهي غير مربوطة وهو مربوط بعقاله، يسبقها بأشواط عديدة.

فَـغَـدَا الـنَّـجَـاحُ وَرَاحَ فِـي أَخْـفَـافِـهِ،
وَغَـدَا الـمِـرَاحُ وَرَاحَ فِـي إِرْقَـالِـهِ[١]
وَشَـرِكْـتُ دَوْلَـةَ هَـاشِـمٍ فِـي سَـيْـفِـهَـا
وَشَـقَـقْـتُ خِـيسَ الـمُـلْـكِ عَـنْ رِئْـبَـالِـهِ[٢]
عَـنْ ذَا الَّـذِي حُـرِمَ الـلُّـيُـوثُ كَـمَـالَـهُ
يُـنْـسِـي الْـفَـرِيـسَـةَ خَـوْفَـهُ بِـجَـمَـالِـهِ[٣]
وَتَـوَاضَـعُ الْأُمَـرَاءُ حَـوْلَ سَـرِيـرِهِ،
وَتُـرِي الـمَـحَـبَّـةَ وَهْـيَ مِـنْ آكَـالِـهِ[٤]
وَيُـمِـيـتُ قَـبْـلَ قِـتَـالِـهِ وَيَـبَـشُّ قَـبْـ
ـلَ نَـوَالِـهِ وَيُـنِـيـلُ قَـبْـلَ سُـؤَالِـهِ[٥]
إِنَّ الـرِّيَـاحَ إِذَا عَـمَـدْنَ لِـنَـاظِـرٍ
أَغْـنَـاهُ مُـقْـبِـلُـهَـا عَـنِ اسْـتِـعْـجَـالِـهِ[٦]

(١) الأخفاف، الواحد خفّ: بمثابة الحافر للفرس. المراح: النشاط. الإرقال: الإسراع. يعزو الشاعر سرّ نجاحه بناعجه، بواسطته يُقابل ممدوحيه، ونجاحه بسرعته، يتمثل نشاطه في إرقاله وشدّة عدوه، وبذلك ينجح في مسعاه في كلّ أمور حياته.

(٢) الخيس: أجمة الأسد وبيته. الرئبال: من أسماء الأسد. يفخر الشاعر أنه قد شارك دولة الخلافة بسيفها، وقد اقتحم عرين الأسد فحباه من حبّه وجعله سيفه أيضاً يحتمي به، وقد حالفه الحظّ أن التقاه، فكان غناه منه وهو يأتمر بأمره، إنه الحاكم يحكم دولته برأيه.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٦. الليوث: الأسود. يمدح الشاعر سيف الدولة بجمال طلعته، فإذا بطش بعدوّه شغله بجماله وهو يتأمّله مشدوهاً ببهاء طلعته، وقد نسي خوفه، وحرج موقفه، وهنا الفضل لا يعود إلى قوّته وشجاعته بقدر ما يعود إلى جماله؛ فجماله خادع على هذه الحالة، وهو إذا ما شارك الأسود بقوّتها، كانت الأسود مرعبة في حال فتكها بضحاياها، فتبدو في منتهى البشاعة.

(٤) تواضع: ذلّ واستسلم. الآكال: الأرزاق. يصف الشاعر الحالة التي عليها الأمير، فالأمراء نسَوْا أنفتهم وكبرياءهم، فإذا بهم يلتفّون حوله بحبّ لا يخلو من تواضع وذلّة فاستسلموا لإرادته وبايعوه بالزعامة عليهم، فمحبتهم رزقه منهم، وثمة إجماع من قبل الرعية على ذلك الحبّ الكبير.

(٥) و (٦) النوال: العطاء، يبشّ: يبتسم. يمدح الشاعر ممدوحه بشجاعته وقوّته، فقبل =

أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى المُلُوكِ بِعَفْوِهِ
حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إفْضَالِهِ(١)
وَإذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ،
وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَالِهِ(٢)
وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إكْثَارِهِ
حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إقْلَالِهِ(٣)
غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ،
وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ(٤)

= مبارزة عدوّه المرتعب وجلاً وخوفاً يقضي عليه نفسياً، فإذا به ميّت، إنه ودود لطيف، فإذا منح أحدهم عطاءً زيّنت وجهه ابتسامة تنمّ عن سعادته وفرحه بالعطاء، ومن طبعه أنه يُسارع في العطاء قبل سؤال من يسأله، ممّا يدلّ على أصالة الكرم فيه وحبه لمساعدة كلّ محتاج، بحيث يسبق الرياح التي يُؤمل فيها الخير، وفجأة وبلا استعجال يُحقّق رجاء من أمل فيه الخير؛ إنها أريحية الكرم التي جُبل عليها الممدوح، فأصبحت من أهم صفاته.

(١) يُردف الشاعر منوّهاً بنوع آخر من كرم أخلاق ممدوحه، فقد شمل كل محتاج بعطائه حتى أغناه عن السؤال، أما شأنه مع الملوك فالأمر مختلف، فقد ملك قلوبهم وعقولهم لأنه قد عفا عنهم بعدما أسر منهم، وغفر لبعضهم هفواته، فكان العفو من جانبه، وبذا شمل كرم أخلاقه سائر الناس، السوقة والملوك على السواء.

(٢) هزّه: إثارة أريحيّته للعطاء. والى: تابع وألحق. يُردف الشاعر حديثه عن عطاء الممدوح، لا يكفيه ما قدّمه من نوال فأغنى به كلّ محتاج، بل إنه يُمدّهم ويُوالي عطاءه لهم حتى يُوفّر عليهم ذلّ السؤال مرة أخرى.

(٣) الجدوى: العطاء. الإقلال: الحاجة والفقر والبؤس. يمدح الشاعر ممدوحه بالإفراط في العطاء حتى يبدو كأنه يحسد الفقراء على فقرهم ليكون فقيراً. إنه منطق بعيد عن الواقع، وكان عليه أن يذكر أن كرم ممدوحه يُثير فيه الاعتزاز والفرح بغناه، وبأنه صلة وصل بين الرزاق الكريم سبحانه وبين سائر الرعية.

(٤) غرن: غربن. الهموم، الواحد هم: العزيمة والإرادة، ومن مغالاة الشاعر أن ممدوحه ذو عزيمة وهمّة جبارة بحيث تتخطى قدرات الطبيعة التي تنتظم الكون بإرادة خالقها سبحانه؛ فالنجوم تغرب دون مدى الممدوح وتُشرق أيضاً دون مداه، ممَّا =

وَٱللَّهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ،
وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ[١]
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ
مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ[٢]
لَمْ يَتْرُكُوا أَثَراً عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى
إِلَّا دِمَاءَهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ[٣]
فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ،
وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ[٤]
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ
لا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ[٥]

= يُوحي بأنه بطل فوق الطبيعة بمسعاه وأهدافه التي جعلته يتبوّأ هذه المكانة الرفيعة.

(١) الجَدّ، بفتح الجيم الحظ. آله: أقرباؤه وأهل بيته. يدعو الشاعر لممدوحه بحسن التوفيق من ربّ العالمين سبحانه وأن يُسعده سائر الأيام بحيث يجعل أعداءه حلفاء له في كلّ مسعًى يكونون إلى جانبه، يُقوّيه ولاؤهم له إلى جانب أقربائه وآل بيته.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. مهجاتهم: أرواحهم، يُنوّه الشاعر دائماً بحسن حظّ ممدوحه، فمتى قتل أعداءه على يديه يكون بإقبال حظه، فإذا بسيفه يفعل فعله في حدود ضيّقة، فيكون حظّه يتمّ سعيه، وهذا يعني أن بطولة ممدوحه ليست مطلقة كما يصوّرها في أمكنة متعدّدة، ويُستشمّ شيء من الحسد يُخفيه الشاعر، ولسان حاله يقول: لِمَ لا أكون أنا في موضعه؟!

(٣) الوغى: الحرب. السربال: الثوب. يصف الشاعر خروج ممدوحه من المعركة ظافراً، وقد تخلّص من أعدائه الذين تركوا ما يذكرونه بهم، إنها دماؤهم وقد زيّنت أثوابه بزينة النصر.

(٤) العرمرم: الجيش العظيم. العرى، يقصد بها القوى. الأقتال: الأعداء. انفصمت: انقطعت. يُنوّه الشاعر بقوّة سيف الدولة العظيمة، فإذا بالجيوش تجتمع متحالفة في جيش عرمرم، وهو من فلّ وحدة الجيش هذا فكان في معظمه غنيمة سهلة لسيوفه التي مزّقت قوّاته المقاتلة وألحقت بها هزيمة شنعاء.

(٥) المباهي: المفاخر. يُخاطب الشاعر القمر الجميل الوجه، ألّا يغترّ بضيائه وعليائه وبهائه وأُنسه ورقته، وألّا يسمع من يُثير فيه هذا الإحساس فثمَّة من يفوقه في كلّ ما يمتاز به، إنه سيف الدولة.

وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ
دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ(١)
وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى
أَفْعَالَهُمْ لابْنٍ بِلَا أَفْعَالِهِ(٢)
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُّرَاثُ سِوَى الْعُلَى
قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ(٣)
وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمِ
فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ(٤)
فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ
أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلَالِهِ(٥)

---

(١) طما البحر: زخر بمائه وهاج، البحر المحيط: المترامي الأقطار. يطلب الشاعر من القمر أن يُحذّر البحر المحيط الهائج ألّا يغترّ بقوّته وبكرمه، فثمّة من يفوقه في كلّ ما يمتاز به، فيغرقه في بحره فلا يعود له وجود، لعجزه عن مجاراته.

(٢) يُنوّه الشاعر بأفعال ممدوحه، فقد ورث عن أجداده مالاً وثراءً، وشرفاً، فأنفق ما ورثه من مال وغنًى، وزاد عليه ما حصّله بنفسه فكان نصيبه الإنفاق في وجوه الخير بحيث لا يبقى محتاج، وأما الشرف فقد توّجَه بأعمال أصبحت مفخرة بحدّ ذاتها تُضاف إلى ما ورثه من شرفٍ أثيل يبقى مع الدهور.

(٣) و (٤) التراث: الموروث من أموال. الطوال: القنا الطوال. يذكر الشاعر الطريقة التي استعاض بها عمَّا أنفق الأمير ما ورثه من أموال، ولم يُبذر بأمجاده فقد احتفظ بها، فإذا به يشنّ الغارات على أعدائه وبذلك استعاد ما أنفقه منهم، مستعيناً بجيشه العظيم الأرعن لكثرة جنده، وقد اكتسى الغبار الذي يُثيره في زحفه وقتاله، فغطّى ما عليه من دروع حديدية، وقد ألحق خلفه بقاياه من الجند في مؤخّرته.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. قذي: ما أصاب عينه من غبار. النقع: الغبار. غضّ الطرف: كسر النظر. يصف الشاعر عظم جيش سيف الدولة، فالغبار يرتفع في كبد السماء ممّا حجب نور الشمس فكأنها قد خجلت من جلالة الأمير أو من كثرة جيشه، فإذا بها تغضّ الطرف حيرى بأمر هذا الجيش وقائده.

الْـجَـيْـشُ جَـيْـشُـكَ غَـيْـرَ أَنَّـكَ جَـيْـشُـهُ
فِـي قَـلْـبِـهِ وَيَـمِـيـنِـهِ وَشِـمَـالِـهِ(١)
تَـرِدُ الـطِّـعَـانَ الْـمُـرَّ عَـنْ فُـرْسَـانِـهِ
وَتُـنَـازِلُ الْأَبْـطَـالَ عَـنْ أَبْـطَـالِـهِ(٢)
كُـلٌّ يُـرِيـدُ رِجَـالَـهُ لِـحَـيَـاتِـهِ
يَـا مَـنْ يُـرِيـدُ حَـيَـاتَـهُ لِـرِجَـالِـهِ(٣)
دُونَ الْـحَـلاوَةِ فِـي الـزَّمَـانِ مَـرَارَةٌ
لَا تُـخْـتَـطَـى إلَّا عَـلَـى أَهْـوَالِـهِ(٤)
فَـلِـذَاكَ جَـاوَزَهَـا عَـلِـيٌّ وَحْـدَهُ
وَسَـعَـى بِـمُـنْـصُـلِـهِ إلَـى آمَـالِـهِ(٥)

---

(١) و (٢) ثمّة تداخل وتلازم بين سيف الدولة وجيشه؛ فالجيش جيشه، فبه تكمن قوّته ويبدو جبروته، وسيف الدولة جيش جيشه بروحه وطموحه وعقلية القائد الحربي العظيم، وحيثما تطلّع المرء وجد تدبير قائده في قلب الجيش وشماله ويمينه، فبدا حسن تنظيمه أحسن تنظيم، والقائد رأس، إنه يُقاتل عن كلّ فرد فيه، فإذا به يتلقّى فرسان أعدائه ليحمي فرسانه؛ إنه الدرع الصلب الذي يحتمي به جيشه، وهو يُبادر إلى مقارعة الأبطال من أعدائه ليحمي أبطاله ويكفيهم بنفسه لثقته بقوّته.

(٣) من طبيعة الأمور أن الملوك والسلاطين والرؤساء يتّخذون جيوشاً لحماية أنفسهم فيُدافعون عنهم ويستميتون للحفاظ عليهم، بينما الأمر يختلف مع سيف الدولة إنه يفدي جيشه بنفسه، لذا فإنه يُريد الحفاظ على أرواحهم، وبذلك تتجلّى عظمة القائد وثقته بقوّته وشجاعته.

(٤) يُبدي الشاعر رأيه أن حلاوة الحياة لا تكون إلّا بمواجهة الصعاب ودخول أهوال المغامرة حتى آخرها، فحلوها لا يكون إلّا بعد مذاق مرارتها، وهنا فقد ينعم المرء بلذّة حياته.

(٥) المنصل: السيف. يُنهي الشاعر قصيدته منوّهاً بما بذله سيف الدولة حتى كان النصر حليفه، فإذا بمرارة الحياة يتحوّل طعمها إلى حلاوة، ولقد تجاوز علي الامتحان الصعب مستعيناً بسيفه فحقّق آماله في حياته.